الأثر العربي في الأدب الفارسي
(مقامات الهمذاني و گـلسـتـان سعدي الشّيرازي أنموذجا)

The impact of Arabic literature on Persian literature
El hamathani and Al-Shirazi as a case study

أ. عليوة نصيرة [1]

تاريخ الإرسال: 19 02 2019 تاريخ القبول: 29 09 2019

الملخّص: من أهم مظاهر التّلاقي الثّقافي في الآداب الإنسانيّة ذلك التّلاقي الواقع بين الأدب العربي والأدب الفارسي، حيث كان لهذا الاتصال الوثيق سواء كان قبل الإسلام أم بعده دور كبير في تحقيق عمليّة التّأثير والتّأثُّر من حيث اللغة والألفاظ والأساليب والبحور الشّعريّة والأجناس الأدبيّة، وكانت المقامة من بين الفنون العربيّة التي تسرّبت إلى الأدب الفارسي، في وقت مبكر، فاحتضنها الفرس وتأثروا بها ونسجوا على منوالها فوُلِدت المقامة الفارسيّة بروحٍ عربيّة وحُلَّةٍ تمزج بين اللغتين، وبالتّالي أصبحت ثمرة من ثمرات تزاوج الأدبين. فكان الهدف من هذا البحث التّنقيب على ذلك الأثر العربي داخل المقامات الفارسيّة وكان النّموذج المُنتَقى من الأدب العربي مقامات الهمذاني رائد هذا الفن ومؤسسه ومُرسي قواعده، ومن الأدب الفارسي گـلستان سعدي الشّيرازي. الذي تهذبت المقامة الفارسيّة على يده واكتملت.

الكلمات المفتاحيّة: الأدب العربي، الأدب الفارسي، المقامات، الهمذاني گـلستان الشّيرازي.

[1] جامعة البليدة 02 الجزائر، البريد الإلكتروني: manessa.omriadh@gmail.com

Abstract : Human literatures cross and meet since they can coexiste in certain period of time, Arabic literature and Persian literature had such link before and after Islam; they could influence each other in terms of language, words, style, poetry and literary genre. Makamat was among the poetic arts adopted by the Persians and wrote it accordingly.The result was a Persian makamat which mixed between two languages and two literatures as well. This paper aims to discover the Arabic impact on the Persian Makamat in a sample study chosen from Arabic literature "El hamathani's makamat", the pionner of this art and its founder, and from the Persian literature we have chosen "Kalestan Sadi Chirazi", who developped the Persian Makamat.

Keywords: Arabic literature, Persian literature, makamat, El hamathani, Galestan, Sadi Chirazi

1ـ مقدّمة: تربط بين الأدب العربي والفارسي علاقة وطيدة وقديمة قِدم التّجاور بين الشّعبين حيث أنه يُعتبر أول أدب أجنبي اتصل بالأدب العربي بسبب الظّروف الطبيعية والجغرافيّة والاجتماعيّة التي تهيأت للشعبين، ونتيجة لذلك الاحتكاك تقاربت اللغتان العربيّة والفارسيّة بشكل لافت، حيث أن العربيّة اقترضت من الفارسيّة الكثير، والفارسيّة اقترضت من العربيّة الأكثر، وانتشار اللغة العربيّة في بلاد فارس باعتبارها لغة للدين والأدب، جعل اللغة البهلويّة القديمة تندثر وتكاد تُنسى، خاصة بعد الفتح الإسلامي لمّا استظلت إيران بظل الإسلام، كان لابد من الاستعانة باللغة العربيّة رسما ومفردات ومصطلحات وحتى أدباً، فمن مظاهر هذه الاستعانة وهذا التّأثر كتابة اللغة العربيّة والفارسيّة بالخط نفسه، والحروف نفسها، إلا بعض الحروف التي أضافتها اللغة الفارسيّة، وكذا على مستوى الكلمة التي نجدها بغزارة في المعجم الفارسي

واستعمال أوزان الشّعر العربي وقوافيه، بالإضافة إلى عِلم المعاجم الذي استقوا منه طرائق التّصنيف والتّبويب، كـ(صحاح العجم) لهندوشاه النّخجواني.

كما لا يمكننا إنكار ما أخذته العربيّة بدورها عن الفارسيّة، وقد امتد هذا التّأثير منذ مرحلة ما قبل الإسلام حيث أننا نجد في القرآن الكريم كلمات من أصل فارسي كسندس واستبرق، كما أن شعراء العربيّة ذوو الأصول الفارسيّة قد تأثروا ببعض المعاني الفارسيّة كذكر بلاد فارس ومدنها ومعالمها وحضارتها كأبي نواس وبشار بن برد، اللذين نظما بعض الأبيات عربيّة البناء فارسيّة المعنى، أما بالنّسبة لعلوم اللغة العربيّة فكثير من العقول الفارسيّة أصدرت كُتُباً في النّحو والصّرف وغير ذلك، كسيبويه وابن قتيبة والجرجاني والسّكاكي والعديد منهم، والملاحظ أن تأثر الفرس بالنّثر العربي كان أبرز وأوضح وأكثر من تأثرهم بالشّعر العربي، فحاكوه في مواضيع شتى وقلّدوه في أساليب شتى ونقلوا عنه فنونا شتى من بينها فن المقامة. التي تطرقنا إلى مدلولاتها اللغويّة والاصطلاحيّة وخصائصها وأشهر روادها في كلا الأدبين العربي والفارسي، في هذا البحث المتواضع، ثم أوردنا مقارنة بين مقامات بديع الزّمان الهمذاني ومقامات سعدي الشّيرازي المسماة بگلستان السّعدي، من أجل إبراز مواطن تأثر المقامات الفارسيّة بسابقتها العربيّة، فإلى أي مدى أثرت المقامات العربيّة في المقامات الفارسيّة؟ وماهي مواطن الائتلاف والاختلاف بينهما؟ وهل جاءت مقامات گلستان كنموذج فارسي تقليداً لمقامات الهمذاني؟

2. المقامة العربيّة:

1.2 المقامة ومدلولاتها: اعتمد الدّارسون في تحديد مدلولات المقامة اللغويّة على معاجم اللغات، فقد وردت في مادة (ق و م) لتدل على المجلس، حيث يقول ابن منظور: "المقامة هي المجلس، ومقامات النّاس مجالسّهم." [1] وقد استدل على

ذلك بعدة أبيات شعريّة. كما جاءت الكلمة بمعنى الجماعة التي ضمها المجلس، وقد نجدها في قول زهير بن أبي سلمى:

وفيهم مقامات حسان وجوههم وأنديّة ينتابها القول والفعل

والمراد منها جماعة النّاس، بعدها بدأ مدلول المقامة يتغير ويتطور لتصبح الأحدوثة من الكلام، كما يقول القلقشندي: "وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة، لأنها تذكر في مجلس واحد، يجتمع فيه الجماعة من النّاس لسماعها." [2] أو المحاضرة "فقد دلت على حديث الشّخص في المجلس سواء أكان قائما أم جالساً." [3] كما دلت على معنى الخطبة الأخلاقيّة والموعظة التي تُلقى بين يدي الخليفة، ومنه جاء بها بديع الزّمان الهمذاني بهذا المعنى في مقامته الوعظيّة حين قال: "فاصبر عليه إلى آخر مقامته، لعلّه ينبئ بعلامته." [4] فجاءت مُنمقة موشحة باللغة الأنيقة والعبارات الرّشيقة ساحرة للسمع، آسرة للفؤاد، منبهة وموقظة للفكر، بهدف التّأثير على المستمعين، ثم حذا شحّاذو الدّولة العباسيّة حذو أولئك الواعظين فاتخذوا من الجملة المسجوعة وسيلة تأثير لكسب عطف المحسنين ونيل عطاياهم، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على انحراف معنى المقامة وتدنيه للدلالة على كلام الشّحاذين الذي كان موضة سائدة في ذلك العصر، وبعد هذا التّطور تستقر المقامة في مفهومها النّهائي الاصطلاحي، وذلك في القرن الرّابع الهجري لتدلّ على معنى قطعة أدبيّة سرديّة تتضمن حادثة يرويها راوٍ بأسلوب ساحر وساخر منمق وموشح يأتي فيها المقامي باللفظ الغريب ويتعمد فيها السّجع الآسر، ويوظف فيها الخيال الواسع، ومنه دخلت المقامة دائرة المصطلحات الأدبيّة لتُعرف بالشّكل الآتي: "المقامة قصة قصيرة بطلها نموذج إنساني مكدٍ متسول، لها راوٍ وبطل وتقوم على حدث طريف، مغزاه مفارقة أدبيّة أو مسألة دينيّة، أو مغامرة مضحكة تحمل داخلها لوناً من ألوان النّقد أو الثّورة أو السّخريّة، وُضعت في إطار الصّنعة اللفظيّة البلاغيّة." [5] وقد أصبحت المقامة من أهم الفنون النّثريّة في الأدب العربي، خاصة من حيث

الغايّة التي ارتبطت بها وهي غايّة تعليم وتلقين النّاشئة صيغ التّعبير، وهي صيغ حُليّت بألوان البديع وزُيّنت بزخارف السّجع، هي أحدوثة تعتمد على راوٍ يسرد حكايّة بطل ذكي يمتاز بسحر اللسان وبالنّضوج الأدبي، وهذه القطعة الأدبيّة تضم العناصر القصصيّة السّرديّة من البدايّة إلى النّهايّة، وهي مُطعمة بشخوص هامشيّة، لها بُعدٌ زمكاني، تحتوي على حبكة تنعقد وتتأزم ثم تُحَّل، يتخللها الحوار، وتنتهج الأسلوب الحكائي الوصفي الممزوج بالفكاهة والسّخريّة، كما تتضمن بين طيّاتها شواهد من آيات قرآنيّة وأحاديث نبويّة وأمثال وحكم مأثورة كما أنها لا تخلو من التّناص الأدبي فانتظم كل ذلك في مقامات مُبهرة.

2.2 أوّليّة المقامة ونشأتها: كانت بدايّة المقامة في القرن الرّابع الهجري العاشر ميلادي، وقد اشتد الخلاف بين بعض الباحثين في أصل هذا الفن، وحول النّابغة الذي تُنسب إليه أسبقيّة المقامة، لكن الشّائع والمعروف لدى الجميع أن بديع الزّمان وعلاّمة همذان هو أول من ابتكر فن المقامات، وقد أقرّ له بفضل السّبق أشهر من عُرف بفن المقامة بعده، وهو الحريري الذي قال: "إنه قد جرى ببعض أنديّة الأدب، الذي ركدت في هذا العصر ريحه وخبت مصابيحه، ذِكرُ المقامات التي ابتدعها بديع الزّمان وعلاّمة همذان رحمه الله تعالى...فأشار من إشارته حكم وطاعته غنم، إلى أن أُنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع وإن لم يدرك الظّالع شأو الضليع." [6]

وشهد له القلقشندي في صبح الأعشى حين قال: "إن أول من فتح باب عمل المقامات علامة الدّهر وإمام الأدب البديع الهمذاني، فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة إليه، وهي في غايّة البلاغة وعُلّو المرتبة في الضّنعة، ثم تلاه الإمام أبو محمد القاسم الحريري فعمل مقاماته الخمسين المشهورة، فجاءت غايّة من الحُسن وأقبل عليها الخاص والعام." [7] وهناك فريق أنكر ذلك وقال أن بديع الزّمان الهمذاني أخذ فكرة كتابة مقاماته من سابقيه وتحديدا من ابن دريد

ومن أبرز من تعرض لهذا الطّرح الحُصري في زهر الآداب حيث قال "لما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي جاء بأربعين حديثاً، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره وانتخبها من معادن فكره، وتوسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة وضروب منصرفة، وأبداها للأبصار والبصائر وأهداها للأفكار والضمائر، في معارض عجميّة وألفاظ حوشيّة...عارضه فيها الهمذاني بأربعمائة مقامة في الكديّة تذوب ظرفاً وتقطر حُسنا." [8] لكن الاختلاف واضح وجلي بين أحاديث ابن دريد ومقامات بديع الزّمان، وقد أشار إليه شوقي ضيف وغيرهم حينما عقدوا موازنة بينهما، فوجدوا أن ابن دريد أوحى لبديع الزّمان فكرة كتابة الأحاديث التّعليميّة، أما في المواضيع والخصائص والأساليب "فالأحاديث تعتمد على السّجع إلا في لمحات من الوصف، ولا تدور على بطل وراويّة ولا تعتمد على التّسول والكديّة بل أقاصيص عربيّة، تتناول التّاريخ وتصور الشّمائل العربيّة في الغالب." [9] ثم أن الدّكتور مصطفى الشّكعة ينكر وبشدة نهل بديع الزّمان من ما جاء به ابن دريد حيث يعتبر هذا ظلماً في حقّ الرّجل، فكلا الرّجلين يختلفان في أهدافهما وواقعهما، "فأحاديث ابن دريد كانت تعليميّة صرفة، والقصد منها تلقين النّاشئة أصول اللغة وغريبها عن طريق الأحاديث، أما المقامات فإلى جانب غرض الإنشاء الجميل والإطراف المضحك، تتخذ موضوعات بعينها من مدح واستجداء ووعظ في صيغة قصة، هي في كثير من الأحيان مسبوكة النّسيج والهيكل." [10] ومهما علا التّضارب في الآراء يبقى بديع الزّمان هو الذي أخرج المقامة إلى النّور وهو رائدها بلا منازع، حتى أن اسمه رسخ في أذهان الخلق ملتصقاً بها، ولو تأثر بغيره كما قال البعض فإن ذلك ليس بالعيب، بل زيادة في الإبداع النّادر.

3.2 رواد المقامة العربيّة:

2ـ3ـ1 بديع الزّمان الهمذاني: يعتبر بديع الزّمان الهمذاني رائد المقامة العربيّة، وإليه نُسب اختراع هذا اللون من فنون النّثر، نظمها وسكبها في تلك القوالب السّاحرة، وأسس دعائمها، وأرسى قواعدها، وعلى منواله نسج من أتى بعده، هو الكاتب المترسل، قدوة الحريري، وقريع الخوارزمي، معجزة همذان وفريد دهره وغرة عصره بديهة وذكاءً، أبو الفضل أحمد بن الحسين رحمه الله،هكذا وردت ترجمته في العديد من الكتب والمصادر القديمة، كُنيته أبو الفضل ولقبه بديع الزّمان، المولود بهمذان، عام ثلاثمائة وثمانيّة وخمسين للهجرة، لكنه عربي النّسب. عاش في همذان عشرين عاماً، وشدّ الرّحال بعدها للعديد من المدن والحواضر العلميّة، أخذ العلم عن أحمد بن فارس وعيسى بن هشام والضّاحب بن عباد، وقد اشتهر بحدة ذكائه وقوة حافظته، وسرعة بديهته، فاستطاع بهذه الصّفات أن يجلب إليه الأنظار، وخاصة بعد أن ناظر الخوارزمي وقرعه.

وعن آثاره فلا يملك من الآثار سوى مقاماته ورسائله، وديوانه الشّعري، لكن الغايّة من الأدب ليست البيع بالقناطير، أو القياس بالكم، إنما الفائدة التي تُنال منه، فما غزلته أنامله حوى المعنى الكثير، في اللفظ القليل، وبوّأه المكانة الرّفيعة في دنيا الأدب وأشهر آثاره المقامات التي بلغت أربعمائة مقامة لم يصلنا منها سوى اثنتين وخمسين مقامة انتزعها من الحوادث التي وقعت له، أو صادفها، أو شاهدها أثناء ترحاله، أو جاء بها من وحي خياله. تتفرد بسياقها الخاص وفكرها المرتب، ومعانيها المقصودة وألفاظها المنتقاة، وهي أقاصيص بطلها واحد وهو أبو الفتح الاسكندري، وراويها عيسى بن هشام، نرى فيها البطل يجوب الآفاق مستخدما الطّرق الملتويّة والحيل للحصول على المال متنكراً في عدة أزياء فهو نموذج للبهلوان الذي يتقمص الشّخصيات الدّينيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة فنراه خطيباً يعتلي المنابر، وتارة عسكريا، وتارة مغنياً وتارة مهرجا قرّاداً، وطبيباً

يدّعي إحياء الموتى...قام فيها بتقديم صور بانوراميّة لمجتمع مليء بالمتناقضات بأسلوب ساحر فاخر ساخر. توفي الهمذاني سنة 398 هـ. ثم حذا حذوه واقتفى أثره العديد من هؤلاء الذين ساروا على درب البديع.

2ـ3ـ2 الحريري: وهو أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري، من مواليد المشان سنة 446هـ/1054م نشأ فيها ثم تابع طلب العلم في بغداد وأخذه على يد أعلام مشاهير كالفيروزآبادي وغيرهم، كتب الحريري خمسين مقامة أولها "الحراميّة" وأسلوب مقاماته دليل على مكانته الأدبيّة الرّفيعة، التي ذُهل وانبهر بها أعلام الأدب والكتابة في عصره، وإلى جانب مقاماته ألف الحريري ديوانا من الشّعر، ومجموعة رسائل وكتباً في النّحو واللغة من أشهرها: "درّة الغواص في أوهام الخواص" أورد فيه أغلاط الأدباء في استعمال الألفاظ والأساليب. توفي سنة 516هـ/1112م.

3.3.2 الزّمخشري: وهو أبو القاسم محمود بن عمر النّحوي، الملقب بجار الله المولود في زمخشر سنة 476هـ ألّف العديد من التّصانيف أهمها الكشاف في تفسير القرآن وأساس البلاغة وغير ذلك، كما ألّف كتاب المقامات التي بلغ عددها خمسين مقامة وعظيّة تهدي القارئ إلى سبل التّقوى والرّشاد.

2ـ3ـ4 اليازجي: هو ناصيف بن عبد الله اللبناني المولد، الحمصي الأصل المولود في لبنان 1214هـ/1800م له ثقافة أدبيّة واسعة، ومؤلفاته تدل على ذلك، فلهُ في النّحو "طوق الحمامة" وفي الإعراب أرجوزة "اللباب في أصول الإعراب" وفي الصّرف وفي البلاغة وغير ذلك، أما مقاماته فسماها "مجمع البحرين" ويريد بالبحرين الشّعر والنّثر، وقد بلغت السّتين مقامة، جمع فيها فوائد علميّة وأدبيّة ولغويّة ودينيّة.

وهناك من أصحاب المقامات الكثير، أمثال شمس الدّين الحلبي، ومحمد بن ناقيا، وابن يوسف السّرقسطي، وابن الجوزي، وأبي العلاء الرّازي، وابن صقيل

الجرزي وابن السّيوطي. ومن المحدثين: الحسن العطار في مصر، والألوسي في العراق، وأحمد فارس الشّدياق في الشّام وغيرهم.

4.2 سمات المقامة العربيّة: اكتسبت المقامة تلك المكانة الرّفيعة في دنيا الأدب ولاقت ذلك القبول والرّواج بفضل السّمات والخصائص التي تميزها من بينها:

1.4.2 الرّاويّة: يختار أصحاب المقامات لقصصهم اسم راويّة واحد، ينقل المقامة من المجلس الذي حدثت فيه، "ويُستحب أن يكون الرّاويّة ظريف النّفس كثير الأسفا، حسن الرّوايّة، متفرغا لفنون الأدب" 1 1 مثل عيسى بن هشام عند بديع الزّمان الهمذاني والحارث بن همام عند الحريري، وسهيل بن عباد عند ناصيف اليازجي.

2.4.2 البطل: يمتاز بطل المقامات بالبراعة في القول، وكسب العيش بالحيلة والاستجداء، والذّكاء الواسع، والتّمكن في العلم والدّين والأدب والفكاهة، وفي الأغلب يرتدي ثوب البائس لينال به العطاء، كأبي فتح الإسكندري عند بديع الزّمان، وأبي زيد السّروجي عند الحريري، وميمون بن خزام عند اليازجي.

3.4.2 الطّرفة: وهي من مميزات المقامة، التي كانت من أبرز أسباب انتشارها ورواجها وقبولها بين النّاس، ولا تكاد تخلو المقامة من النّكتة أو الطّرفة، وأغلبها يحمل الحس الفكاهي، من خلال ذلك الأسلوب السّاخر الفاخر، وفكرة المقامة تدول حول تلك المُلحة.

4.4.2 الحوار: يعمل الحوار على تطوير موضوع المقامة، للوصول بها إلى النّهايّة المنشودة، حيث أنه يساعد في بناء أحداثها، ورسم شخصياتها، ويخفف من رتابتها ويُبعد عن طريقها الملل.

5.4.2 العقدة: تعتبر المقامة قصة كباقي القصص مكتملة العناصر، تظهر فيها العقدة تبعاً لتسلسل الأحداث وتطورها، لتصل إلى ذروة التّأزم ثم تنفرج في نهايّة المقامة وبحسب التّأزم يكون تشوق المتلقي أكبر لمعرفة النّهايّة.

6.4.2 اسم المقامة: أحياناً ينتقي المقامي اسم مقامته بحسب الموضوع الذي تدور حوله، كالمقامة الخمريّة والدّيناريّة والمُضيريّة وغيرها...وأحيانا تُسمى على المكان أو البلد الذي انعقد فيه مجلسها كالبغداديّة والسّمرقنديّة والبلخيّة والكوفيّة وغيرها...وهناك منها ما سميت شخصيات مشهورة كالمقامة الخلفيّة.

7.4.2 اللغة: الجوهر في المقامات هو الغرض الخارجي، فالمقاميون يرومون حليّة اللفظ، واللغة المتينة والأنيقة، والغريبة في بعض الأحيان، يقول شوقي ضيف: إنما اتجهوا بها إلى ناحيّة لفظيّة صرفة، إذ كان اللفظ فتنة القوم وكان السّجع كلّ ما لفتهم من جمال في اللغة وأساليبها" 2 1

8.4.2 الشّعر: مزج المقاميون بين الشّعر والنّثر في أعمالهم، واستخدموا النّثر أساساً لسرد مقاماتهم، وطعّموه بأبيات شعريّة تتخلل المقامة أو تختمها لتُلخص مضمون المقامة، وينتقل المقاميُ يكل أريحيّة وانسيابة من النّثر إلى الشّعر دون انقطاع الفكرة حتى أن المتلقي لا يشعر بأدنى انقطاع.

9.4.2 البيان والبديع: من أهم السّمات التي ميّزت المقامة توشيحها بالصّور البيانيّة كالتّشبيهات والاستعارات وغيرها، لكن المُلاحظ عليها غلبة الاستعارات على غيرها من الصّور، أما المحسنات البديعيّة فقد طغى عليها السّجع، إذ أصبح ملازما للمقامة منذ وُجدت، لدرجة التّكلّف أحياناً كما هو الحال عند الحريري بالإضافة إلى الجناس في المرتبة الثّانيّة بعد السّجع ثم يليه الطّباق بنوعيه والمقابلة.

3 المقامة الفارسيّة:

1.3 المقامة الفارسيّة ومدلولاتها: وردت كلمة مقامة بفتح الميم في المعاجم الفارسيّة بمعنى المكان أو الموضع، أما بضم الميم فجاء معناها الإقامة، ومثل ذلك

في اللغة العربيّة، وفي هذا يقول علي أكبر دهخدا: "وكلمة المقامة بفتح الميم تعني أيضا المنزلة." [13] بالإضافة إلى معانٍ أخرى نجدها في المعاجم الفارسيّة كالحكايّة والرّسالة والتّاريخ والحادثة وغيرها من المعاني، وقد استخدم البيهقي هذه المعاني في كتابه تاريخ البيهقي في قوله مثلا: "وكل من يطالع هذه المقامة ينبغي أن يتأملها بين العقل والعبرة." [14] ومعنى المقامة في هذا القول الحكايّة،أو الحادثة الواقعيّة التي أرخ لها في كتابه،ثم أنه أفرد عناوين من كتابه باسم المقامة، مثل: "المقامة في ولايّة العهد للأمير شهاب الدّولة مسعود وما جرى من أحواله" ويقصد بها التّاريخ. [15] كما أن البيهقي ألف كتابا سماه مقامات المحمودي، وأشار إليه في كتابه تاريخ البيهقي، حينما تحدث عن أستاذه أبي نصر مشكان فقال: "وآثاره وأخباره وأحواله ذكرتها في مقامات محمودي." [16]

ثم عُرفت المقامة بمعنى الحكمة والموعظة وكلام الضّوفيّة، ومن هذا المعنى ألّف شهاب الدّين السّهروردي كتابه "مقامات صوفيّة". يقول ملك الشّعراء بهار في كتابه سَبک شناسي (تاريخ تطور النّثر الفارسي): قيل أن المقامة هي المجلس أو الجماعة من النّاس، أو الخطبة أو العظة، أو الرّوايّة التي تُلقى في مجتمع من النّاس، والمقامة جمعها مقامات، ومعروف أن الزّهاد كانوا يخطبون في مجلس الملوك في وعظ وإرشاد الملوك، وأيضا جاءت المقامة بمعنى الموعظة، على المنبر في المحافل، وسميت بعد ذلک بالتّذكير أو القول في المجلس، لأن المجلس والمقام يستعملان بنفس المعنى تقريباً." [17]

كما أنه لا اختلاف بين هذه المعاني والمعاني التي وردت في اللغة العربيّة، ثم يضيف قائلا: "أما المقامات التي نقصدها هي الرّوايات والأساطير المدونة التي تقرأ للناس، أو تكتب بعبارات مسجعة، ومقفاة وموزونة، والآخرون يقرأونها في المجالسّ والأنديّة الخاصة، ويتلذذون بنغمة الكلمات وأسجاعها، المشتبهة بتغريد الحمامات." [18] وأحد المعاني لكلمة المقامة عند الفرس هو معنىً موسيقي يتعلق

بأنغام المقامات التي تُعزف ثم إن كاتب المقامات الحميدي ذكرها في كتابه مرات عدة، لكن بمعنى المكان المزدحم بالنّاس أو مكان الوقوف.

أما المقامة اصطلاحا عند الفرس تعني "الحكايات العربيّة نحو مقامات الحريري وبديع الزّمان الهمذاني، والحوارات التي تشتمل على حوارات مجالسّ العرب ومحافلهم والخطب المنظومة والمنثورة كمقامات الحريري والهمذاني وسميت بهذا الاسم بسبب المكان الذي يُخطب فيه." [19] وترتبط المقامة بمفهومها الاصطلاحي عند الفرس بالعرب، وما أنتجه العرب من حكايات تُنسج على نحو خاص، منظومة أو منثورة ونموذجهم الأول كان مقامات الهمذاني والحريري. يقول ملك الشّعراء بهار: "إن قراءة القصص بنغمة خاصة وصوت خاص لا تزال متداولة في البلاد الإسلاميّة، ولا شك أن الزّهاد كانوا يخطبون في المجالسّ أمام الملوك والكبار بطريقتهم الخاصة، ونغماتهم المميزة، ليؤثروا في السّامعين أكثر فأكثر، والعجيب في أن المستجدين والمتسولين في إيران والبلدان العربيّة لا يزالون يستجدون ويتسولون بالكلمات المسجعة، والموزونة وبنغماتهم المميزة، لأنهم تأثروا بأسلوب وطريقة الزّهاد المستجدين الحقيقيين في المجالسّ والخانقاة [20] فالمقامات تتيح لمثل هذه القراءات بأصوات جميلة وعبارات شعريّة أن تكون مقبولة ومسجعة ولطيفة، وكُتاب المقامات العربيّة استفادوا أيضا وقد وضعوا هذا الاسم على قصصهم، لأنهم كانوا يقرأونها في المجالسّ والأنديّة والنّاس كانوا يتلذذون بها." [21] وعليه فالمقامة عندهم تعني مجموعة من الأحاديث والقصص التي تُلقى على عامة النّاس أو خاصتهم بطريقة مسجوعة ونغمات خاصة تُميل القلوب وتأسر الفؤاد وتؤثر في النّفس سواء كانت غايتها الاستجداء أم التّودد إلى من هم أعلى مرتبة، أم المتعة والتّرفيه. أما غرض التّعليم وتلقين النّاشئة الألفاظ والعبارات والأساليب، فلم ترد في تعريفات الفرس لمصطلح المقامة.

2.3 أوليّة المقامة الفارسيّة: عرف الفرس فن المقامة منذ وقت مبكر حيث أنها انتشرت وذاع صيتها لما ألّف القاضي الحميدي مقاماته باللغة الفارسيّة وأصبحت تُلقى في المجالسّ والمحافل الأدبيّة عند الفرس، فبعد اتساع دائرة النّثر الفارسي في القرن السّادس الهجري/ الثّاني عشر ميلادي وبلوغه ذروة النّضج بدأوا بتنميق كتاباتهم بالسّجع متأثرين بالعرب، كما اشتقوا مصادر عربيّة فارسيّة جديدة, وأصبحت اللغة الفارسيّة أكثر مرونة بعدما كانت قبل ذلك لغة للكتابة فقط. ثم أصبح النّثر متكلفاً مرهقاً بالضّنعة اللفظيّة، والمحسنات البديعيّة، وأما من كان له فضل إرسائها في النّثر الفارسي وحمل لواءها فهو الحميدي، "وأصبحت المقامات الحميديّة خير ما أنتجه النّثر الفارسي في القرن السّادس الهجري." [22] وهدفه من كتابة المقامات أن يعرف أبناء وطنه هذا الفن ويتعرفوا من خلاله على البلاغة العربيّة والفارسيّة، حيث يقول في مقدمة مقاماته: "رأيت مقامات بديع الزّمان الهمذاني والحريري مصادفة، فتصفحتهما وقرأتهما...فشعرت بأن هذه المقامات لا تنفع عوام العجم، لأنهم لا يعرفون اللغة العربيّة لاسيما تلك المفردات العجيبة والغريبة، فلذلك قررت أن أكتب المقامات باللغة الفارسيّة ومزجت الفارسيّة بالعربيّة." [23]

والدّافع الثّاني أن الحميدي أراد أن يُظهر قدراته الفنيّة أمام قدرات أصحاب المقامات العربيّة، وأراد أن يُصور في الأدب الفارسي فناً يُضاهي فن المقامة عند العرب، وقد أشار عماد الدّين الأصبهاني إلى سبب تأليف الحميدي لمقاماته في قوله: "سأله بعض الأكابر الخراسانيّة أن يصنف بالفارسيّة مقامات على وزن مقامات الحريري، فصنف كتاباً مليحا بديعا في فنه فصيحا، أتى فيه بكل صنعة غريبة، وبدعة عجيبة، ونوع متشاكل وسجع متقابل، ولفظ لا يُلفظ ومعنى لا يغلظ، ولطف تستعير منه الصّبا،وظرف يستعبر به الصّبى، وقافيّة آثار الحسن صافيّة كقطار المزن، وكلامٍ كلام العذار عند العذري، ولام الفضفاض

التّبعي إذا سردَ درسَ نظم، أو حرس سحر فهم فالعقد ينفث فيها والعقود منعت منها." [24] وعن قيمتها يقول الأنوري:

هـــر ســـخن كـــان نيســـت قـــرآن يـــا حـــديث مصـــطفى

از مقامـــات حميـــد الـــدّين شـــد اكنـــون ترهـــات [25]

وترجمة البيت أنّ كل كلام بعد القرآن وحديث النّبي ﷺ لا قيمة له بجانب مقامات حميد الدّين وماهو إلا ترهات. وهذا يدل على أنه أحد مشاهير زمانه في السّاحة الأدبيّة.

3.3 رواد المقامة الفارسيّة: بعد ذيوع هذا الفن عند العرب التّقَفَهُ أهل الأدب من الفرس وكان أولهم

1.3.3 حميد الدّين البلخي: اسمه عمر المكنى بأبي بكر والملقب بحميد الدّين، وقد اشتهر باسم القاضي حميد الدّين عمر بن محمود البلخي، ولا يوجد أثر لتاريخ ولادته في الكتب، بينما أجمع المؤرخون على أن تاريخ وفاته كان سنة 559هـ/1163م، كان ذا مكانة اجتماعيّة رفيعة، حيث تولى منصب قاضي القضاة في بلخ، ومكانة أدبيّة مرموقة، لاسيما عند الشّعراء، وُصف بأنه "عميد في عصره ووقته، فارس الفصاحة الفارسيّة، وقابس الجذوة القابوسيّة، ليس في زماننا بخراسان من يجاريه في حلبته، ولا من يباريه في حليته، إذا نثر فما المنثور وما النّثرة، والزّهر والزّهرة والدّري والدّريّة، إذا نظم وهت عقود العقول...عذبته بلخيّة وعذوبته كرخيّة." [26]

كان مُتفقِهًا في الشّرع وفي العلوم الدّينيّة، وفي فنون الشّعر والنّثر، ألف العديد من الرّسائل والكتب، أهمها المقامات، وحنين المستجير إلى حضرة المجير ورسالة الاستغاثة إلى الإخوان الثّلاثة، ووسيلة العفاة إلى أكفى الكفاة، وفي أدب الرّحلة كتب رسالة السّفر إلى مدينة مرو، وغيرها من المؤلفات، ويبقى أشهرها مقاماته التي ألّفها سنة 551هـ كما قال النّظامي: "مقامات الحميدي، وهذه

المقامات أُلّفت سنة 551هـ/1156م" [27] وعددها ثلاثة وعشرون مقامة على غرار مقامات بديع الزّمان والحريري. أراد أن يُتممها للخمسين كما فعل الحريري لكن الظّروف الضّعبة حالتّ دون ذلك كما ذكر في مقدمة مقاماته، وهناك من قال أنّه ألّف أربعة وعشرين مقامة ووقع الخلاف في نسبة مقامة اسمها الخريف إليه.

2.3.2 سعدي الشّيرازي: اختلف أصحاب السّير في اسم هذا الأديب ولقبه فقيل أن اسمه عبد الله وقيل مُشرف، وعُرف بلقب الشّيخ، الشّيخ شرف الدّين سعدي الشّيرازي نسبة إلى شيراز، كما اختلفت الآراء أيضا في تاريخ ميلاده، "لم يرد تاريخ ولادته قط لا في المصنفات ولا في المراجع القديمة التي ترجمت له وأغلفت سنة ولادته كليّة." [28] لكن هناك من قدّر لميلاده سنة 571هـ وهناك من خمّنه سنة 615هـ. أما أغلب المؤرخين اتفقوا على تاريخ وفاته، وكان ذلك عام 691هـ، نشأ سعدي نشأة دينيّة علميّة على يد والدّه الذي أحسن تأديبه، وفي شبابه رحل إلى بغداد. لمواصلة تعليمه فيها وينهل من معينها الفياض، وهناك تعمق أكثر في اللغة العربيّة وفنونها الأدبيّة والبلاغيّة ونصوصها الشّعريّة والنّثريّة، وتتلمذ على يد أشهر مشايخ بغداد، في المدرسة النّظاميّة أمثال السّهروردي. ومن بغداد رحل إلى بلدان عديدة، "ويعود سعدي بعد رحلة طويلة جاب فيها أنحاء العالم، وأصاب من كل حصاد حزمة، ومن كل بيدر كومة." [29] وفي نهايّة المطاف اختار سعدي أن يعتكف في بيته في شيراز ويتفرغ للوعظ والإرشاد والتّأليف وقرض الشّعر، وتهذيب ما نظمه وتدوينه، فجادت قريحته بگلستان وتعني الرّوضة، وهي مقاماته التي عُرف بها، كما ألّف بوستان وتعني البستان، ونظم الطّيبات والخبيثات والخواتيم. وكتب رسائله السّت المشهورة.

3.3.3 مجد الخوافي: برز نجمه في القرن الثّامن الهجري، وهو مجد الدّين الخوافي المنسوب إلى خوافة وهي ناحيّة قرب نيسابور. ومن أبرز ما كتب الخوافي مقاماته الشّهيرة التي أطلق عليها اسم خارستان وتعني أرض الشّوك، وتعد هذه المقامات من الآثار القيمة في الأدب الفارسي، كما أنها لاقت شهرة عظيمة وذاع صيتها خارج بلاد فارس، ونخص بالذّكر الهند، تم تأليف مقامات خارستان سنة 733هـ/1332م ويرى العديد أن نثر الخوافي في خارستان شبيه إلى حد كبير بنثر الشّيرازي في گلستان وهناك من وصفه بالتّقليد لگلستان ولمقامات الحميدي.

وتمتاز خارستان الخوافي بخصائص تختلف عن مقامات السّعدي، منها أنها "تتضمن مقدمة قصيرة وستة عشر بابا...وبدايّة كل باب مزيّنة بحديث نبوي وتشمل الأبواب حكايات قصيرة وطويلة، تقليداً لآثار الكتاب الذين عاشوا متأخرين في القرون المتأخرة ويبلغ عددها مائتين وأربعا وعشرين حكايّة، كما انقسم نثره إلى قسمين: القسم الأول نثر بسيط، والقسم الثّاني نثر مرسل تقليدا لعصر المؤلف، ونجد في القسم الثّاني حكايات نثرها مملوء بالعبارات المسجعة والمحسنات البديعيّة، مزج نثره بالنّظم بشكل رائع." [30] وكان استشهاد الخوافي بالآيات القرآنيّة وبالأحاديث أكثر من غيره، ومال إلى المسائل الدّينيّة وذكر كرامات الأولياء المعروفين، وذكر أحوال الضّوفيّة وأقوالهم، إلا أنه لم يلتزم بالإيجاز الذي التّزم به سابقوه، كما أنه لم يوظف الأمثال والحكم، بقدر توظيف السّعدي لها."وصحيح أن مجد الخوافي كتب كتاب خارستان تقليدا لگلستان سعدي ولكنه قلّد أسلوب مقامات الحميدي والزّم نفسه إيراد السّجع والموازنة أكثر من الصّناعات الأخرى." [31]

4.3.3 عبد الرّحمان الجامي: الملقب بالملا جامي، من مشاهير الشّعراء في بلاد الفرس، وكتابهم في القرن التّاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي، ذكر

المؤرخون أنه ولد بجام، إحدى قرى خراسان سنة 817 هـ وتوفي سنة 898هـ، ألّف الجامي العديد من الكتب والرّسائل، من أشهرها في النّحو: "الفوائد الضيائيّة" التي شرح فيها كافيّة ابن الحاجب، كما كتب "ليلى والمجنون" و"تحفة الأحرار" و"يوسف وزليخا" ومن مؤلفاته "بهارستان" وتعني أرض الرّبيع وفيها اقتفى أثر السّعدي أيضا في گلستان لكنها تختلف عنها قليلا في المضمون وتبتعد عنها في الشّكل، "ففي بهارستان اعتمد الجامي على الشّعر أكثر من النّثر...كما كانت موضوعاته تدور حول التّصوف والعرفان والهزل ونقد الشّعر فأصبح بذلك كتابا علميا أكثر منه اجتماعيا دينيا. قسم الجامي كتابه إلى ثمان روضات: الرّوضة الأولى: خصصها لأقوال وأسرار مشاهير الضّوفيّة، والثّانيّة تتضمن أقوال ومواعظ الحكماء، والثّالثّة أورد فيها حكايات قصيرة عن عدل السّلاطين والرّابعة ذكر فيها كرم وجود بعض المشاهير، والخامسة تحدث عن العشق، وتضحيّة العشاق، أما السّادسة خصصها للطائف والطّرائف، والسّابعة حول نقد الشّعر وأحوال الشّعراء الفرس، والثّامنة تشتمل على حكايات جاءت على السّنة الحيوانات تشبه حكايا كليلة ودمنة. [2 3] وهؤلاء كانوا من أشهر المقاميين الفرس، بالأضافة إلى آخرين مما سيطول بنا الحديث عنهم ولو تناولنا جزءاً منهم، كما لا يسعنا المكان إلى ذكر أسمائهم.

4 أثر مقامات الهمذاني في گلستان سعدي الشّيرازي: كتب سعدي الشّيرازي گلستان الفرس الذي يعتبره الكثير ثاني كتب المقامات شُهرة بعد مقامات الحميدي أشبعها بالأفكار الضّوفيّة وبالأمثال والحكم، نمّقها بنثر مسجوع غنيّ بالألفاظ الجزلة ولم يكتب هذا الكتاب بغرض التّهذيب والتّربيّة والوعظ فحسب، إنما كان غرضه التّعليم أيضاً، وتلقين فن الإنشاء، وآداب المحاورة، شأنه شأن الهمذاني، عندما ألف مقاماته وتجدر الإشارة إلى أن سعدي عالج في گلستانه مواضيع شتى، فبالإضافة إلى الكديّة "تحدث عن الفقر واليتم، ووصف

الفقـراء والـدّراويش والأيتـام وحيـاتهم، ولربمـا كـان غرضـه تشـجيع الأغنيـاء لمساعدة الفقـراء والأيتـام، وانتقـادهم لضعف المجتمـع آنـذاك." [33] كمـا يعتبر گـلستان مـن حيث الإنشـاء وسـرد القصص والحكايـات "ضرب مـن المقامـات الـتي تعد لونا بارزا مـن ألـوان الفـن القصصي، وقـد وضـع سـعدي نصب عينيـه مقامـات الهمـذاني العربيّة والحميـدي الفارسيّة، لكنـه لم يقـع تحت وطأة المحاكاة الـتي تُفقد النّص الأدبي أصالتّه، بـل ابتـدع لونـاً نثريـاً يمثـل أصول النّثر الفني المرسل بحـذافيره...بعكس مقامـات الحميـدي الـتي تعـد تقليـداً صـرفا للمقامـات العربيّة." [34] ويرى الفرس أن مقامات السّعدي امتازت عـن سابقتها مـن المقامـات الفارسيّة بسمات عديدة دون تغييب أثر المقامات العربيّة عليها، فسعدي الشّيرازي عنـد كتابتـه لگـــلستانه لم تغـب عـن مخيلتـه مقامـات الهمـذاني وهـذا واضـح وجلي. "كتب سعدي في گـلستان مقدمة وخاتمة، وقسمه إلى ثمانيّة أبواب، على غـرار أبـواب الجنـة، تـدور الأبـواب السّـبعة الأولى حـول حكايـات أخلاقيّة وتهذيبيّة والباب الثّامن والأخير يُعد مـن أعلـى النّمـاذج للمقامـات الضّوفيّة، ويشـتمل علـى مجموعة من الحكم والنّصائح، والمواعظ والأمثال، وروح التّصوف والعرفان ساريّة في كل الأبواب، إلا أنها أكثر وضوحاً وتجسيداً في الباب الثّامن." [35]

ومـن السّـمات الـتي ميّـزت هـذه المقامـات نـذكر: ـ أنهـا كتبـت بنثـر مسـجوع مليء بفنون الضّنـاعة اللفظيّة، وهذا ما انتهجه بديع الزّمـان الهمـذاني، بالتّزامـه للسجع أيضا، وأسجاع السّعدي غير متكلفـة، "يوردهـا أحيانـا ليحقـق مـن خلالها الإيقـاع الموسـيقي، وهـي مـن أفضـل أنـواع السّـجع، قصـير الفقـرات متسـاوي الفصول." [36] وهي طريقة البديع الهمذاني في سجع مقاماته، فأغلب سجعه ما كان شقه الثّاني أطول من الأول وهو من المستحسن.

ـ تتخلل گـلستان السّعدي بعض الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة، والأبيات الشّعريّة الفارسيّة والعربيّة، والأمثال والحكم، وهذا ما نجده أيضا في مقامات

بديع الزّمان، ولكن بشكل متفاوت، فهو يوظف المعاني الدّينيّة ويقتبس من القرآن والحديث، خاصة في بعض المقامات ذات الغرض الدّيني والوعظي، كالمقامة الإبليسيّة والوعظيّة، إلا أنه قلما يستشهد بالآيات والأحاديث، أما الشّعر فكان أوفر حظاً، وأكثر توظيفا في المقامات الهمذانيّة، وكان الاستشهاد ببعض الأبيات الشّعريّة لسابقيه حاضراً في المقامات التي تناولت موضوع الشّعر والأدب. كالمقامة القريضيّة، والجاحظيّة والشّعريّة؛

- كتب سعدي ما يقارب المائة وتسعين حكايّة ولم يحذ كتاب المقامات التي لم تزد مقاماتهم عن الخمسين مقامة، وصحيح أن ما بلغنا من مقامات الهمذاني اثنتين وخمسين مقامة فقط لكنها في الأصل زهاء الأربع مائة مقامة يعني أن أيادي الدّهر عبثت بها ولم تبق إلا على أقلها. وهذا ذكره الكثير؛

- يهدف سعدي من خلال إنشائه لگلستان إلى إبراز براعته الأدبيّة وإظهار مدى روعة اللغة الفارسيّة، وما تمتاز به من بلاغة وفصاحة، "فيظهر بوضوح أن هدف سعدي منه في الأغلب جانبه الأدبي، ومعالجة أسلوب المقامة في أجمل أساليبها، وإبراز التّفوق والتّميز في هذا المجال، وإن امتاز بجانبه الالأخلاقي أيضاً، فهو أديب ذو مذهب اجتماعي." [37] كذلك هدف بديع الزّمان الأول كان الجانب الأدبي التّعليمي، أي تعليم النّاشئة اللغة العربيّة وصيغ التّعبير، والقصد الأول من مقامات بديع الزّمان الهمذاني هو الإتيان بألفاظ وعبارات تسحر قلوب السّامعين وتُبهر عقولهم، فاللفظة والعبارة عند الهمذاني هي الغايّة في حد ذاتها وليست الحكايّة بالمعنى الدّقيق؛

- استمد سعدي مادة گلستانه من وحي خياله، وهي لا تمت للواقع التّاريخي بصلة وإنما تتصل بالواقع الاجتماعي، "هي وليدة فكر السّعدي وخياله فقط والهدف منها هو الإبداع وليست انعكاسا للواقع، وإن قصد أيضا توظيف أدبه لغايات تربويّة ومقاصد أخلاقيّة. [38] أما إذا جئنا إلى مقامات البديع فهي ذات طابع ابتكاري أيضاً جاء بها بهدف تعليمي أدبي بالدّرجة الأولى، وتحت هذا

الهدف الرّئيس جاء المعطى الاجتماعي كمعطى ثاني، لأنه قام بسبر أغوار مجتمعه، وتغلغل بين أفراده واكتشف المفارقات الطّبقيّة التي سادت في ذلك العصر، وبما أنه كان فقيراً في بدايّة حياته، استطاع رؤيّة حقيقة المجتمع بنزوله إلى أسفل السّلم الاجتماعي، فرسم البطل على شاكلته، واتخذ من الكديّة وسيلة فضح لما يدور في المجتمع؛

ـ "بعض حكايات سعدي جاءت قصيرة لكن ذات مغزى...وبطلها هو السّعدي نفسه والقارئ يظن أن هذه الوقائع حدثت لسعدي إلا أنه لا شك في أنها كانت خيالا." [39] أما مقامات بديع الزّمان الهمذاني فتنوعت بين الطّويلة والقصيرة مدارها على بطل واحد أصلي هو أبو الفتح الاسكندري، وراويها عيسى بن هشام الذي ثبت أنه كان من أساتذة الهمذاني، أما البطل فهو شخصيّة خياليّة؛

ـ ضمت گلستان الشّيرازي أبياتا شعريّة مفردة وقطعا شعريّة، أي أنه مزج بين الشّعر والنّثر، وهذا ما عهدناه في المقامات العربيّة، ففي مقامات البديع نرى الشّعر يزاحم النّثر كثيراً، فلا تكاد تخلو مقامة من مقاماته من الشّعر يطعم به نثره، وكثيرا ما يختم به مقاماته، وفي بعضها يتساوى الشّعر بالنّثر، كالمقامة الوعظيّة والأسوديّة والعراقيّة وهناك من المقامات ما سماها باسمه كالمقامة القريضيّة والمقامة الشّعريّة؛

ـ الشّيرازي في گلستانه استلهم الأدب العربي وتمثّله حتى أصبح جزءاً من نسج خياله ووحي أدبه، فجاءت أشعاره العربيّة متأرجحة بين الأصالة والإبداع وبين التّقليد والمحاكاة، واصطبغ شعره العربي بصبغة عربيّة، واتسم بمسحة فارسيّة." [40]؛

ـ امتازت گلستان بوضوح الفكرة وعدم التّعقيد في إيصالها، والابتعاد عن غريب اللفظ وعجيبه وصعبه، كما امتازت مقامات الهمذاني قبله بالوضوح وجودة العبارة، والتّنوع في الأساليب بين الخبر والإنشاء، إلا أنه كان يأتي بالغريب والضّعب من الألفاظ بما أن غايته منها غايّة تعليميّة.

1.4 بين موضوعات گـلستان السّعدي ومقامات الهمذاني: تناول سعدي في گـــــلستانه موضوعات شتى أهمها الأدب والكديّة والفكاهة والدّين والعشق والمناظرة والفقه وغير ذلك، وهي قريبة جدا من موضوعات الهمذاني، التي كان منها ماله صلة بالحياة اليوميّة للناس، وتنوعت هي الأخرى فمنها الأدبي ومنها الفقهي، ومنها الوعظي ومنها الخمري المجوني وما يتعلق بالفساد السّياسي، أما الكديّة فأهمها.

4ـ1ـ1 الأدب: في گـلستان لا تكاد تخلو مقامة من الطّرائف واللطائف الأدبيّة، فمن الحكايات ما جعلت الموضوع الأدبي جوهرها، نحو الحكايّة الأولى في الباب السّادس بطلها عجوز فقير يسحر الرّاوي بأشعاره، وفي المقابل هناك من مقامات الهمذاني ما تتخذ من النّقد الأدبي موضوعا لها، حيث يطلق أحكامه النّقديّة فيها على الأدباء، وهي أربع مقامات: الجاحظيّة والشّعريّة والقريضيّة والعراقيّة.

4ـ1ـ2 الكديّة: وقد التّزم السّعدي بها متأثراً ببديع الزّمان الهمذاني على عكس الحميدي الذي سبقه، لكنه هذبها وسماها فقراً، وكان رحيما بالفقراء الذين سمّاهم الدّراويش لا المكديين، وخصص باباً لهم ووجه سهام اللوم في فقرهم للحكومة والمجتمع. هذا وكانت الكديّة في المقامات العربيّة صفة ملازمة لها ولبطلها، وهي "المادة الرّئيسيّة التي يقوم عليها مضمون المقامة، فمعظم المقامات تعتمد أساسا على حيل المكديين ومغامراتهم." [41]

4ـ1ـ3 المناظرة: نجد في گـلستان السّعدي مناظرات منها القصيرة ومنها الطّويلة، وقد كتبها مشابهة لمناظرات الحميدي والحريري، "ومن هذه المناظرات جدال السّعدي مع المدعي في بيان الغنى والفقر. وهذه المناظرة تشبه مناظرة الحميدي بين السّني والملحد." [42] أما المناظرة في مقامات الهمذاني فهي قليلة ولا نجدها سوى في المقامة الدّينارية التي ضمت أقبح صور الهجاء.

4-1-4 المُلحة: في گـــــلستان الشّيرازي بعض الحكايات الفكاهيّة كحكايّة السّعدي مع والدّة زوجته، لكنه لم يعتمدها بكثرة كما فعل البديع الهمذاني حيث لا تخلو أغلب مقاماته منها وهذا ما أكسبها تلك الشّهرة وذلك الرّواج ومن أمثلتها عند بديع الزّمان المقامة المضيريّة والدّيناريّة والحلوانيّة وغيرها... أما عن المواضيع الفقهيّة فلم يُفرد لها السّعدي مقامات مستقلة بل تحدث عن الفقه من خلال بعض مقاماته وكذلك فعل البديع الهمذاني كالذي ذكره في المقامة المارستانيّة، وعن المواضيع العشقيّة فهي كثيرة، وقد أورد لها باباً، وهو الباب الخامس، سمّاه باب العشق والشّباب، وهو ما غيّبه الهمذاني في مقاماته.

2-4 بين أسلوب گـــــلستان السّعدي ومقامات الهمذاني: يعتمد أصحاب المقامات في بناء مقاماتهم على السّجع بالدّرجة الأولى، وكذلك فعل سعدي الشّيرازي، لكنه لم يتكلف فيه إلاّ عند الضرورة، ومثال سجعه ما قاله في الحكايّة السّادسة والعشرين في باب فضل القناعة: " پـــدر گفت: اي پـــسر، منافع سفر چـــنين كه گفتـــي بي شمارست وليكن مسلَّم پـنج طايفه راست، ناخستين: بازرگاني كه با وجود نعمت ومكنت. غلامان وكنيزان دارد دلاويز، وشـــاگردان چابک، هر روز به شهري، وهر شب به مقامي، وهر دم به تفرج كاهي، از نعيم دنيا متمتع. وترجمة الشّاهد: قال الأب: أيها الولد منافع السّفر على هذا النّمط الذي قلته لا تحصى، ولكن المسلّم بفائدتها خمسة أصناف: الأول تاجر لوفرة نعمته، وامتلاكه الغلمان والجواري الحسان، هو كل يوم في مدينة وكل ليلة في مقام، وكل حين بمتنزه يتمتع بنعيم الدّنيا." [3] [4] أما بديع الزّمان فيبقى أسلوبه فريدا من نوعه، في صياغة لغة نوعيّة، لذلك العصر، فاختار صيغة السّجع التي تستجلب الاستحسان والإعجاب، وهذا السّجع لا يرى فيه أثر للتكلف أيضاً، فهو خفيف مستساغ، عرف كيف يصوغه بتلك النّغمات الضّوتيّة والسّجعات القصيرة البهيّة.

ـ اعتمد سعدي مزج النّثربالأشعار الفارسيّة والعربيّة، التي من نظمه هو، ولم يستشهد بشعر غيره، وهذا ما قاله في خاتمة كتابه، وكذا البديع الهمذاني قبله، قد انهدمت عنده الحواجز بين الشّعر والنّثر، فلا تخلو مقامة من مقاماته من الشّعر الذي كثيرا ما يختم به مقامته ويلخص فيه الهدف والمغزى من تلك المقامة.

ـ كما اعتمد سعدي الشّيرازي على الوصف أيضاً "بيد أن الوصف قليل وقصير في گلستان لكنه كامل على خلاف ممقامات الحميدي، لأننا في بعض الأحيان نجد الوصف فيها كثير غير أنه زائد وبغير فائدة." [44] أما الوصف في مقامات الهمذاني فهو غزير مميز دقيق يجعلنا نرى تلك المشاهد تتمثل أمام أعيننا، وخير مثال على ذلك المقامة المضيريّة.

ـ من مميزات أسلوب السّعدي أنه اعتمد على الإيجاز لا إيجاز مخل ولا إطناب ممل والبلاغة في الإيجاز. كما أنه ابتعد عن غريب اللفظ وعسيره، فلا إبهام ولا غموض ولا تعقيد، وابتعد عن المفردات النّادرة، وهذا على عكس الهمذاني الذي وظف الألفاظ النّادرة، وأحيانا يشرحها بمرادفها، بُغيّة التّعليم هذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أن الهمذاني ينبوع عذب ثري اللغة غزير اللفظ، ميّزه الثّراء اللغوي، فكان حريصا على أن يبعث ما أهمل من المفردات وإحياء ما قتله الدّهر منها.

ـ لم يوظف سعدي من ذلك الرّصيد اللغوي الذي كان يملكه رغم أنه معروف بتمكنه من اللغة العربيّة، وسيطرته عليها، وكان حافظاً للآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة ورغم ذلك كتب بلغته، على خلاف الحميدي الذي كثيرا ما كان يستعرض عضلاته البيانيّة في اللغة العربيّة، أما بديع الزّمان الهمذاني فقد وظف بعض الألفاظ، ذات الأصل الفارسي، ولكنها متداولة في اللغة العربيّة وأكثر ما ذكر الهمذاني بالفارسيّة أسماء المدن في بلاد فارس، والتي سمّى بها

العديد من مقاماته، كالمقامة البلخيّة والأصفهانيّة والأهوازيّة، والنّيسابوريّة و الشّيرازيّة وغيرها...

ومن هنا نرى أن مقامات الشّيرازي قريبة جدا من مقامات الهمذاني، في أغلب النّواحي حيث استخلص منها الضّفات والأساليب والمضامين البديعيّة، ووظفها في گلستانه كما أنه حافظ على اللغة الفارسيّة في مقاماته، وخالف البديع الهمذاني في بعض الموضوعات، فأعطى الكتاب روحاً جديدة على عكس مقامات الحميدي التي كانت تقليدا لمقامات الهمذاني والحريري.

5. خاتمة: خلاصة ما انتهى إليه هذا البحث المتواضع بعد التّتبع للمقامة في الأدبين العربي والفارسي جملة من النّتائج من أهمها:

1ـ العلاقة بين الأدبين العربي والفارسي متينة، وازدادت متانتها بعد الفتح الإسلامي وقد خلقت هذه العلاقة مجالات وفرصاً عديدة للتأثير والتّأثر بين الأدبين؛

2ـ أصل المقامة عربي ولا خلاف في ذلك، ورائدها عربي النّسب، همذاني المولد، هو من أسسها وأرسى قواعدها ثم أطلقها ليحتضنها العرب من بعده متبعين نهجه، سائرين على دربه، أمثال الحريري والزّمخشري، ولم تقف عند الحدود العربيّة بل عبرتها وتعدت إلى بلاد فارس؛

3ـ إن الأثر العربي على المقامات الفارسيّة واضح وجلي، خاصة بعد اعتراف المقاميين الفرس باطلاعهم المباشر على المقامات العربيّة وانتهاجها، والنّسج على منوالها؛

4ـ هناك من المقاميين الفرس من قلّد المقامات العربيّة في المبنى وفي المعنى، في الأسلوب وفي المضمون، خاصة ما جاء به القاضي الحميدي، على خلاف سعدي الشّيرازي الذي تأثر بها ولم يقلدها تقليدا تاما؛

5ـ موضوعات مقامات سعدي الشّيرازي أقرب إلى موضوعات مقامات بديع الزّمان الهمذاني أكثر من غيرها، حيث أنه تناول المواضيع الأدبيّة والاجتماعيّة والدّينيّة والوعظيّة، كما أنه ماثل الهمذاني في موضوع الكديّة والاستجداء، إلا أنه هذبها تحت مسمى الفقر والحاجة؛

6ـ من ناحيّة أسلوب گلستان وطريقة إنشائها، فإننا نرى السّعدي متأثرا بسابقيه، معتمدا على أهم ميزة لصيقة بهذا اللون، وهي "السّجع" الذي جاء خفيفاً غير متكلف كسجع الهمذاني، بالإضافة إلى الإيجاز والبلاغة والاعتدال في التّفنن اللفظي ومَزْج الشّعر بالنّثر كما فعل الهمذاني قبله.

قائمة المصادر والمواجع:

1ـ ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التّراث العربي، ط2، 1997، مج5، ج11.

2ـ الأصبهاني عماد الدّين ، خريدة القصر وجريدة العصر، تح: محمد بهجت الأثري مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، دط، 1955. 3ـ البيهقي أبو الفضل ، تاريخ البيهقي تر: يحي الخشاب وصادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصريّة، دط، دت.

4ـ الحريري القاسم بن علي، مقامات الحريري، شرح: أبو العباس القيسي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المؤسسة العربيّة الحديثة للنشر والتّوزيع، بيروت، دط، 1998.

5ـ الحصري أبو أسحاق بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق زكي مبارك، نشر المكتبة البخاريّة الكبرى، مصر، ط3، 1953، ج1.

6ـ القلقشندي أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: يوسف علي الطّويل، دار الفكر، دمشق، ط1987،1، ج14.

7ـ النّظامي العروضي السّمرقندي، كتاب مجمع النّوادر (جهار مقاله)، تر: عبد الوهاب عزام، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، بور سعيد، دط، دت. 8ـ الهمذاني بديع الزّمان أحمد بن الحسين ، مقامات بديع الزّمان الهمذاني، شرح: محمد عبده، دار الكتب العلميّة، بيروت ط3، 2005.

9ـ أمل إبراهيم محمد، الأثر العربي في أدب سعدي الشّيرازي، الدّار الثّقافيّة للنشر مصر ط2، 2000.

10ـ شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7، د ت.

11ـ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النّثر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط5، دت.

12ـ عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع الجزائر، دط، 1980.

13ـ عبد المؤمن عثمان الشّيخ، البديعيات في مقامات القرني، بحث مقدم للحصول على درجة الدّكتوراه في اللغة العربيّة، جامعة إلورن، 2011.

14ـ فرح ناز علي رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2011.

15ـ محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار الثّقافة للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة ط1، 1990.

16ـ مصطفى الشّكعة، بديع الزّمان الهمذاني، رائد القصة العربيّة والمقالة الضّحفيّة الدّار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، ط1، 2003.

17ـ مهين حاجي زادة، المقامة في الأدب العربي والآداب العالميّة، مجلة اللغة العربيّة وآدابها أذربيجان، العدد4، 2004.

18ـ يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، طَ1 1979.

الهوامش:

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التّراث العربي، ط2، 1997، مج5، ج11، باب القاف، ص3787.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تح: يوسف علي الطّويل، دار الفكر، دمشق ط1987،1 ج14، ص124.

[3] شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7، د ت، ص7.

[4] بديع الزّمان الهمذاني، مقامات بديع الزّمان الهمذاني، شرح: محمد عبده، دار الكتب العلميّة، بيروت ط3، 2005، ص157.

[5] يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم، بيروت، ط1، 1979 ص8.

[6] الحريري، مقامات الحريري، شرح: أبو العباس القيسي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم المؤسسة العربيّة الحديثة للنشر والتّوزيع، بيروت، دط، 1998، ص12.

[7] محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار الثّقافة للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ط1 1990 ص180.

[8] الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق زكي مبارك، نشر المكتبة البخاريّة الكبرى مصر، ط3 1953، ج1، ص235.

[9] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النّثر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط5، دت، ص81.

[10] مصطفى الشّكعة، بديع الزّمان الهمذاني، رائد القصة العربيّة والمقالة الضّحفيّة، الدّار المصريّة اللبنانيّة، القاهرة، ط1، 2003، ص295.

[11] عبد المؤمن عثمان الشّيخ، البديعيات في مقامات القرني، بحث مقدم للحصول على درجة الدّكتوراه في اللغة العربيّة، جامعة إلورن، 2011، ص57.

[12] شوقي ضيف، المقامة، ص10.

[13] فرح ناز علي رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2011، ص33.

[14] أبو الفضل البيهقي، تاريخ البيهقي، تر: يحي الخشاب وصادق نشأت، مكتبة الأنجلو المصريّة، دط، دت ص182.

[15] نفس المرجع، ص115.

[16] نفس المرجع، ص657.

[17] فرح ناز علي رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا) ص36.

[18] نفس المرجع، ص33.

[19] نفس المرجع، ص38.

[20] يقول الفيروزآبادي في القاموس المحيط: "هو التّكيّة والمعبد، منزل خاص لاجتماع الضّوفيين" ج2 ص1171.

[21] فرح ناز علي رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا) ص39.

[22] نفس المرجع، ص68.

[23] نفس المرجع، نفس الصّفحة.

[24] عماد الدّين الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، تح: محمد بهجت الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، دط، 1955. ص110

[25] مهين حاجي زادة، المقامة في الأدب العربي والآداب العالميّة، مجلة اللغة العربيّة وآدابها أذربيجان العدد4، 2004.

[26] عماد الدّين الأصبهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ص110.

[27] النّظامي العروضي السّمرقندي، كتاب مجمع النّوادر (جهار مقاله)، تر: عبد الوهاب عزام مكتبة الثّقافة الدّينيّة، بور سعيد، دط، دت، ص8.

[28] أمل إبراهيم محمد، الأثر العربي في أدب سعدي الشّيرازي، الدّار الثّقافيّة للنشر، مصر ط2، 2000 ص19.

[29] نفس المرجع، ص36.

[30] فرح ناز علي رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا) ص107.

[31] نفس المرجع، ص108.

[32] نفس المرجع، ص109، 110.

[33] نفس المرجع، ص98.

[34] أمل إبراهيم محمد، الأثر العربي في أدب سعدي الشّيرازي، ص50.

[35] فرح ناز علي رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا) ص 99.

[36] أمل إبراهيم محمد، الأثر العربي في أدب سعدي الشّيرازي، ص 53.

[37] نفس المرجع، ص51.

[38] نفس المرجع، نفس الصّفحة.

[39] فرح ناز علي رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا) ص 99.

[40] نفس المرجع، ص100.

[41] عبد المالك مرتاض، فن المقامات في الأدب العربي، الشّركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع الجزائر، دط 1980، ص313.

[42] فرح ناز علي رفعت جو، المقامة بين الأدب العربي والأدب الفارسي (الحريري والحميدي خصوصا) ص 103.

[43] نفس المرجع، ص106.

[44] نفس المرجع، ص105.